الحديث الشريف

يراد بالحديث الشريف كل ما ورد عن النبي (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير، ولما كان أصحابه قد عاشروه وسمعوا قوله وشاهدوا عمله ، وحدثوا بما رأوا وما سمعوا ، ولما كان التابعون قد عاشروا الصحابة وسمعوا منهم ورأوا ما فعلوا ، اعتبر الحديث شاملاً لأقوال الرسول وصحابته والتابعين متى جاءت عن طريق المحدثين فإنها تأخذ حكم الأقوال المرفوعة الى رسول الله (ﷺ) من جهة الاحتجاج بها .

تدوينه :

الذى نستفيده من حقائق التاريخ أن رسول الله (ﷺ) اتخذ كَتَبَة للوحي، يكتبون آيات القرآن الكريم عند نزولها ، ولكنه لم يتخذ كتبة يكتبون ما ينطق به من غير القرآن ، بل قد وردت أحاديث تنهى عن تدوين الحديث منها أن رسول الله (ﷺ) قال : " لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب عَلَيَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" .

الخلاف فى تدوين الحديث : -

وروى عن ابن عباس قال : " لما اشتد بالنبي(ﷺ) وَجَعَهُ قال : "إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده " . قال عمر : " إن النبي(ﷺ) غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا " .

نعم ، وجدت أحاديث تدل على أنه كتبت صحف من الحديث فى عهد رسول الله (ﷺ) كالذى رواه البخارى عن أبي هريرة أَنَّ خُزَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلاً مِنْ بَنِي لَيْثٍ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بِقَتِيلٍ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَخَطَبَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْقَتْلَ أَوْ الْفِيلَ قَالَ أَبُو عَبْد اللَّه كَذَا قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ وَاجْعَلُوهُ عَلَى الشَّكِّ الْفِيلَ أَوْ الْقَتْلَ وَغَيْرُهُ يَقُولُ الْفِيلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولَ اللَّه ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ أَلا وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ بَعْدِي أَلا وَإِنَّهَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ أَلا وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ لا يُخْتَلَى شَوْكُهَا وَلا يُعْضَدُ شَجَرُهَا وَلَا تُلْتَقَطُ سَاقِطَتُهَا إِلا لِمُنْشِدٍ فَمَنْ قُتِلَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِمَّا أَنْ يُعْقَلَ وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ أَهْلُ الْقَتِيلِ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ اكْتُبُوا لأَبِي فُلَانٍ " .

وكذلك ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص من أنه كان يكتب كل ما سمع من رسول الله (ﷺ)،وقد أراد بعض العلماء التوفيق بين هذه الأحاديث المتضاربة **فقالوا** ، إن النهى عن الكتابة كان وقت نزول القرآن الكريم خشية التباسه القرآن الكريم بالحديث. فالواقع أن أصل كتابة الحديث وقع فى عهد النبي(ﷺ) أما تدوين الحديث فى كتب فقد وقع بأمر الخليفة " عمر بن عبد العزيز " المتوفى سنة ١٠١ هـ فقد روى فى الصحيح أنه كتب الى أهل الآفاق أن " انظروا ما كان من حديث رسول الله(ﷺ)أو سنته فاجمعوه أو اكتبوه " .

قيل ، إنه استخار الله أربعين يوماً ، ثم أمر " ابن شهاب الزهري " أو ابن جريج، أو أبو بكر بن حزم ، بجمع الحديث وتدوينه . فكان ذلك ، وبعث بما جمع الى الأمصار، ثم فُقِدَ هذا المدون ولم يوقف له على أثر.

وأول من دَوَّنَ الحديث " محمد بن مسلم الزهري " المتوفى سنة ١٢٤ هـ والمعروف أنه كان يروى عن الصحابة مثل " عبد الله بن عمر، وأنس بن مالك ، وسهل بن سعد الساعدي " .

طبقات المحدثين : -

وقيل إن أول من دون الحديث " الربيع بن صبيح " المتوفى سنة ١٦٠هـ وسعيد بن أبى عروبة،المتوفى سنة ١٥٦ هـ ، ثم شاع التدوين فى الطبقة التى تلى طبقة " الزهرى" كمالك بن أنس ، وعبد الملك بن جريج ، والاوزاعي ، وسفيان الثوري ، وحماد بن سلمة . وكان بنى كَثير من رواه الحديث فى هذا العهد يكتبون الأحاديث عند تلقيها ولا يكتفون بحفظها عن ظهر قلب ، فإنا نجد فى تاريخ طائفة منهم أن لهم كتباً يرجعون إليها عند الرواية . ونجد فى تاريخ من يروين عن أمثال " الزهري " أن فى مخالفاتهم أجزاءً كثيرة تحتوى أحاديث أخذوها عن أُولئك الأئمة .

أصحاب المسندات : -

ويصل بنا البحث الى أن مصنفات الطبقة التى جاءت بعد طبقة " مالك وابن جريج " . قد بلغت الغاية فى جمع الأحاديث . وفى ذلك العهد صنفت مسندات كثيرة " كمسند أسد بن موسى الأموى " المتوفى سنة ٢١٢ هـ ، ومسند "عبيد الله بن موسى العيسى

" المتوفى سنة ٢١٣ هـ . ومسند نعيم ابن حماد الخزاعى " المتوفى سنة ٢٢٨ هـ ، ومسند "أحمد بن حنبل " المتوفى سنة ٢٤١ هـ ،

وجاء بعد هؤلاء أصحاب الكتب الستة وأولهم " البخارى " ،وآخرهم " النسائي" وما فى الكتب الستة أو معظم ما كان مدوناً فى الكتب المصنفة من قبل .

وهذه النظرة التاريخية تدلنا على أن أصل كتابة الحديث وقع فى عهد النبي (ﷺ) ثم لم يمض قرنان حتى قيد معظم الحديث بالكتابة والتدوين .

أنواعه الأدبية : -

لقد عرف رسول الله (ﷺ) بأنه صاحب دعوة ، ومنشئ دولة،ومؤلف جماعة،فتكاثرت الوفود على بابه وتزاحمت عليه القبائل والجماعات مستسلمةً لدعوته،مؤمنةً بشريعته،مأخوذة بحديثه الجامع وبيانه الأحر ، وبلاغته المتدفقة ، وفصاحته المتمكنة .

فنونه :

عرض عليهم ألواناً وفنوناً من تشريعه المبين،وحكمه البالغة،وأمثاله السائرة، وَقَصَصِهِ الحق، وقوانينه العادلة، ونصائحه الشاملة، بأسلوب يسيل نوراً وروعةً،ويفيض رقةً، وقداسةً .

الأمثال : -

فمن أمثاله السائرة :" إن من البيان لسحراً "،" ولإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى"،"إياكم وخضراء الدمن"،"إن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبْطاً أو يلم".

الحكم : -

ومن نصائحه (ﷺ) فى ثوب الحكمة والكلمة الجامعة " رُبَّ مُبَلَّغ أوعى من سامع "،" التمسوا الرزق فى خبايا الأرض " . " المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم "،" المرء مع من أحب ، ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له "،" اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن ". " الرغبة فى الدنيا تكثر الهم والحزن " ، "البطالة تقسى القلب" "اليد العليا خير من اليد السفلى" . "زرغباً تزدد حبا" .

"الوحدة خير من جليس السوء"،"من أصبح معافى فى بدنه، آمنا فى سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها"، "لو تكاشفتم ما تدافنتم" .

وكُتُب الحديث مستفيضة بالأمثلة الكثيرة والشواهد التى لا تُحْصى على بقية الأنواع كالتشريع والقوانين والقصص كما تفيض بالتراكيب المبتكرة التى لم تعهد لأحد قبله ،ولم تؤثر عن بليغ سابق مثل " الآن حمى الوطيس "،" هدنة على دخن"،"هذا يوم له ما بعده"،"يا خيل الله اركبي"،"لا ينتطح فيه عنزان"،"رفقا بالقوارير" .

بلاغته : -

أحاديث الرسول (ﷺ) وإن كانت فيض الخاطر، وعفو البديهة،يبدو عليها أثر الإلهام وسمة العبقرية وطابع البلاغة ، وأسلوبها أقرب الى أسلوب عصر النبوة منه الى أسلوب القرآن ، وإنما يمتاز كلام الرسول(ﷺ) باشراق ديباجته ، واتساق عبارته ، وتساوق ألفاظه وتراكيبه ، ومطابقة مدلوله لمقتضى الحال ، وأشد ما يكون ذلك ظهوراً حين يخاطب الوفود ، فالرسول (ﷺ) يستعمل الغريب ويلتزم السجع ويخاطب كل وفد بلُغَته .

معرفة الرسول (ﷺ) بلغة القبائل : -

والنبي (ﷺ) لم يُعْلم عنه أنه انتقل فى تلك القبائل قبل البعثة حتى يحذق لغاتها ، ومثل ذلك لا يكون إلا بالهام وعليم من الله ، ولقد قال له " عَلِيّ " – رضى الله عنه – حين سمعه يخاطب وفد "بني فهد" : "يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهمه ، فقال رسول الله (ﷺ) : " أدبني ربي فأحسن تأديبي ، بيد أني من قريش وربيت فى بني سعد" تلك ينابيع ثقافته (ﷺ) **ومن ذلك كتابه " لوائل بن حجر الكندى " أحد قبائل " حضر موت " . -**

" إلى الأقيال العباهلة ، والأرؤاع المشابيب ..... "

ومن : " وفى التبعة شاة لا معورة الألياط ، لا خناك وأنطوا الثيجة ، وفى السيوب الخمس ، ومن زنى من بكر فاصقوه مائة " واسوفضوه عاما ، ومن زنى من ثيب فاضربوه بالأضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرائض الله تعالى ، وكل مسكر حرام ، ووائل بن حجر الكندى يترتل على الاقيال " .

وللرسول قدرة عجيبة على التشبية والتمثيل وارسال الحكمة وإجادة الحوار، وتلك ميزة أختصه الله بها فهو أفصح العرب منطقاً وأبلغهم قولاً ، حتى لقد قال له " أبو بكر – رضى الله عنه – لقد طُفْتَ فى العرب ، وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك فمن أدبك علمك ؟ .

قال رسول الله (ﷺ) ، " أدبني ربي فأحسن تأديبي " .

أثر الحديث فى اللغة والأدب : –

إن للحديث قيمة كبرى من جهة الثقافة والدين على منزلة القرآن الكريم ، فإن كثيراً من آيات القرآن مجمل ، او مطلق أو عام ، فيأتي الحديث مبيناً له ، أو مقيداً، أو مخصصاً من كل ما يتعلق بأدب ، أو عبادة ، أو معاملة .

الحديث لا يسمو الى منزلة القرآن الكريم : –

إن قيمة الحديث وإن كانت تتسم بطابع البيان والإلهام ، والعبقرية فإنها لا تسمو الى مكانة القرآن الكريم لأن القرآن كان يدون عند نزوله ، وفرض على المسلمين ان يحفظوا بنصه .

﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة:١٨١]،

وذلك بخلاف الحديث فلم يتم تدوينه إلا بعد قرنين من الزمان وكان قبل ذلك إنما يروى معظمه من الذاكرة ، وكثيراً ما تخون ويعتريها النسيان ، والضياع ، لذلك نال الحديث كثير من تفسير الكلمات والتركيب . واختلاف الروايات ، وزد فى ذلك أن أجاز بعض العلماء رواية الحديث بالمعنى وذلك لاستحالة المحافظة على اللفظ فى نقله مشافهة طوال هذه السنين . وليس من همِ الأديب أن يُعْنى بما نال الحديث من الاختلاف والتبديل، ولابما نال المحدثين من الجرح والتعديل ، فإن الأدب انما بعد الأحاديث ، صادقها وكاذبها مذهباً من مذاهب القول له التأثير البالغ ، والأخذ الشديد .

أثر الحديث فى اللغة والأدب : –

إن جُلَّ الأحاديث يبدو عليها نور النبوة ، وروعة الحق ، وروَاء الطبع ، وروَاق الفصاحة ، فلا غرو أن يكون لها بعد القرآن التأثير البين فى جميع الوجوة التى ذكرناها للقرآن الكريم فقد عمل الحديث كما عمل القرآن على تمدن اللغة وتحضرها وجعلها صالحةً

لكل ما جد من علوم وثقافات ، وحضارات ومعارف ، وكما كان للقرآن فضل عظيم فى ايجاد كلمات جديدة لم تكن معروفة للعرب قبل الإسلام كذلك الحديث قد وضع ألفاظ جديدة لما ستحدث من المعاني الدينية ، والفقهية ، وزاد فى اللغة ألفاظاً وأجرى فيها اشتقاقات ، كما توسع فى معانى بعض ألفاظها بما لم يعهد قبله ، فكان للغة مادة جديدة زادت فى ثروتها اللغوية .

من ذلك تسميته " صفر الأول "، " محرما " وذلك حين أبطل الإسلام النسيء وحتم تحريم القتال وكذلك وصفه (ﷺ) لفرس ركبه بأنه " بحر " يعنى لا ينقطع جريه ، واسراعه، وكذلك كلمة " الصير "(١) **بمعنى الشق فى قوله :**

" من أطلع من صير باب فقد دَمِرَ " يعنى دخل . يقول " أبو عبيد " لم يسمع هذا اللفظة إلا فى هذا الحديث. وكذلك وصفه "للزنية "بالزمارة" فى حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي(ﷺ) نهى عن كسب الزمارة". يقول " تعلب " الزمارة هى الزنية ، وَسُمْيت بهذا الاسم لشيوع أمرها كأنها تنفخ فى بوق ، وهذه اللفظة لم تُسمع إلا فى هذا الحديث .

هذا إلى جانب ألفاظ كثيرة جرت على لسانه – عليه الصلاة والسلام – فى بيان الشريعة وفقهها . كما نجد النبى (ﷺ) قدرة عجيبة على التشبيه ، والتمثيل ، وذلك فى مثل قوله (ﷺ) : " المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف إن قيد انقاد وان أنيخ استناخ على صخرة " ، **وقوله** (ﷺ) :

" أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " .

وقوله (ﷺ) ، " لَوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَانـــاً " ، **وقوله** (ﷺ) ، " مثل المؤمن كالنخلة لا يأكل إلا طيبا و لا يطعم الا طيبا " ، **وقوله** (ﷺ) ، " المرأة كالضلع إن رمت قوامها كسرتها " ،

ومن قوله (ﷺ) ، " الناس سواسية كأسنان المشط " .

أثر الحديث : –

إن أثر الحديث كثير ومبثوث فى كلام الصحابة – رضى الله عنهم – ،وفى خطبهم خاصة فى أسلوب من كثرا ختلاطهم به ،وملازمتهم له ، أو كثرت روايتهم عنه مثل سيدنا

---

(1) الصير : الشق ، وافتحة ، وصير الباب خرمه ، وثقبه والفتحة فيه .

" أبى بكر " ﷺ ،وعمر بن الخطاب،وعثمان،وعلى وأبى هريرة، وعائشة ، وعبد الله بن عباس،رضى الله عنهم أجمعين .

هذا وللحديث مثل ما للقرآن فضل كبير،ولغتنا القمراء ،وضادنا الدعجاء وذلك يتجلى فى حفظها هذا العمر المديد،والمساحة الزمنية الواسعة الذى لا ينتظر أن يزول لأنهما أي القرآن والحديث منبع الدين وموطن التشريع ، وموضع الاستشهاد ، ومحل الاقتباس ذلك بالاضافة الى عناية المسلمين الفائقة بالعلوم الشرعية والعربية . تلك العناية التى هدفها وغايتها الحفاظ على " القرآن والحديث " حتى يبقيا للأجيال المتعاقبة من المسلمين سالمي البناء،معربين،وغير مجهولين . وهذا من تدبير المولى – سبحانه وتعالى – لحفظ دينه،وبقاء كتابة ما بقى من الحدثان .

الشعر فى عصر البعثة الاسلامية

ظهور الإسلام أثار الجدل : -

إن ظهور الإسلام كان نهضة جديدة تناول نواحى الحياة العربية كلها ، الدينية والاجتماعية و السياسية والأدبية. ثم تناولت الحياة البشرية كلها بعد ذلك. ذلك لأن الإسلام رسالة بشرية عامة ، وهذه النهضة اقتضت معارضة من ناحية ، ومؤازرته من ناحية أخرى، يعنى كان لها خصوم وأنصار. وقد كان الخصوم أول الأمر كثرة كاثرة وعنيفة وقوية ، وذلك الأمر يستتبع نهضة أدبية تلازم هذه الدعوة ويظهر فيها الجدل والخطابة والشعر،وقد كان ذلك كله طبيعياً وواقعياً لا شك فيه، لذلك كان على مؤرخي الاداب أن يقفوا عند هذه الفترة الانتقالية لبيان وجه الحق فيها ولاسيما ما شاع من أن القرآن حرم الشعر وصرف الناس عنه .

يقول "ابن خلدون" فى الفصل الستين من آخر مقدمته عن الشعر **وقوله ما نصه:** " أن انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحى ، و ما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض فى النظم والنثر زماناً ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة ولم ينزل الوحى فى تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي(ﷺ) وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ الى دينهم الأول " .

يستفاد من كلام " ابن خلدون " ثلاثة أمور : -

١- أن العرب انصرفوا عن الشعر عند مبعث الرسول (ﷺ) لانشغالهم بأمر الدين والنبوة ، ومراعهم من بلاغة القرآن ، فشغلوا عن الإنتاج الأدبي شعراً ونثراً .

٢- إن الدين لم يحظر الشعر ولم يحرمه .

٣- إن الرسول (ﷺ) كان يشجع الشعر ويثيب عليه .

على أن المشهور أن الدين حرم الشعر **لقوله تعالى** : " والشعراء يتبعهم الغاوون " . **وقوله سبحانه** : " وما علمناه الشعر وما ينبغى له " . و فإذا صح " لابن خلدون " آخر كلامه فليس من الحق المطلق أن نوافقه على كلامه ، وإذا فما الرأى؟

يلاحظ ما قلناه عن هذه النهضة الجديدة وما تستلزمه من نهضة أدبية والواقع أن مدة " مكة " كانت جدلاً نثرياً بين الرسول (ﷺ) وقومه من " قريش " ثم كانت الخطابة تصدر عن الرسول (ﷺ) فى الغالب أحيانا ، وأما الشعر فلم يكن " لقريش " منه حَظ ذو خطر لذلك بقى كما هو فى " مكة " قبل الهجرة وإذ لا يقال عن فتور الشعر هذا أن سببه الدين ، بل المسألة ليست إلا نوعاً من مسايرة الحالة القديمة " لقريش " فلما كانت الهجرة ووقفت المدينة أمام مكة أو الانصار أمام "قريش " ثار الشعر ونهض نهضةً قويةً ونشأ من ذلك مرستا " مكة والمدينة " كما هو معروف مشهور وظهرت شاعرية " قريش " أمام شاعرية الانصار ، ولم يكن لا عليها ولا لها ليس ذلك معقولاً أبداً .

والواقع أن الدرس التاريخي يدلنا على أشياء عجيبة منها إظهار الشاعرية القرشية كما يلى وإظهار شعراء لم يعرفوا من قبل ومنها أن الشعر يتخذ الدين موضوعا له يُنيب عنه ، بل شعرا يقال حتى فى الردة نفسها وفى أيام الغزوات والفتوح الأولى حتى العصر الأموى ذلك " حسان بن ثابت " ثم " كعب بن مالك " ، و" عبد الله بن رواحة " أقاموا أنفسهم شعراء الرسول " مدرسة المدينة " يدفعون عنه قريشاً ويقفون لشعراء مكة ويفحمونهم .

وأولئك " عبد الله بن الزبعرى"، "ضرار بن الخطاب" ، "عباس بن مرداس"، و " عمرو بن العاص " ، وأبو سفان مدرسة مكة ، وغيرهم يقفون فى وجه الدين ورسوله وشعرائه بعد الهجرة ، تجد شواهد ذلك فى سيرة ابن هشام ، وفى الشعر الذى قيل حول الغزوات " كبدر وأحد " ، والخندق و سواها .

فالقول بأن العرب انصرفوا عن الشعر وشغلوا بالاحداث والقرآن قول لا يسلم كما رأيت ، بل المفروض أن تلك الأحداث تستلزم الشعر وتشجع عليه ، وإن

كنا نرى شاعراً انصرف عن الشعر الى القرآن ، فذلك " لبيد " كما يرى أحيانا وهو استثناء يثبت القاعدة ، " ولبيد " على كل حال لم يهتم بالشعر بعد الإسلام ، حتى صفوا له بيتاً واحداً فى الإسلام إن صحت الروايات . هذا هو الوجه الذى يؤيده الواقع .

الاحتجاج بالآية وموقفنا منه : -

إن الدين لم يحظر الشعر حظراً مطلقاً كما يتوهم الناس ، **والذين يحتجون بالآية** ، ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الشعراء:٢٢٤]

فاتهم أن القرآن انتصر لجماعة من الشعراء .....إلخ آخرها ، مما يدل على أن الدين لم يحرم بتاتا الشعر ولعله حرم منه ما أتى بالشعر وصرف عن الإسلام .

كذلك الذين يحتجون بالآية الثانية ، لم يراعوا أنها نزلت تَنْفى الشعر عن القرآن وعن الرسول (ﷺ) إنه شاعر وإن القرآن شعر ، فنزلت الآية تَنْفى الشعر عن القرآن لأنه حقاً ليس بشعر ، وعن الرسول لأنه ذو مبدأ جدي أُرْسِل لإبلاغه،على أن مسلك الرسول (ﷺ) وخلفائه من الشعر كان يستمع الى الشعر **ويقول لحسان** :

" ما منع الذين نصروا الرسول بأسنتهم أن يمنعوا بألسنتهم " . يريد الأنصار وحسان بن ثابت . فكان " حسان وكعب وابن رواحه " صدى هذه الكلمة ،وأكثر شعر حسان الاسلامي كان فى مدح الرسول (ﷺ) ورثائه والدعوة له والذود عنه ، فكان شاعر الرسول حقا ، ويمكن قراءة ذلك فى مقدمة دلائل الإعجاز.

لم يكن لقريش شعر فى الجاهلية : -

إن الإسلام كما أشرنا قبلاً أظهر الشاعرية القرشية وَقَوّاها فمن المعروف كما يقول " ابن سلام " أن قريشاً لم يكن لها فى الجاهلية حظ من الشعر وقد يرجع ذلك الى حياتها المطمئنة البعيدة عن الأحداث التى تثير العواطف أو إلى انشغالها بالتجارة والرياسة فانصرفت عن هذا الفن الجميل الذى انحطت قيمته أحياناً ، أو إلى انعدام قيمتها الشعرية فبقيت ملكتها خامدة حتى بعثها الإسلام .

ويلاحظ أن هذه القوة قد بدت بعد الهجرة حين وقف الأنصار فى "بدر" وأخذوا يفخرون بالنبي (ﷺ) ويدافعون عنه على لسان " حسان،وكعب،وابن رواحه. فقام من قريش جماعة يردون على شعراء الانصار أخصهم " أبو سفيان ، وعمر بن العاص،وعبد الله بن الزبعري،وضرار بن الخطاب " وهذا الشعر نفسه كان جاهلياً فى الغالب هو فخر وحماسة وهجاء على مثال الشعر الجاهلى ، فمعانيه بأس وكرم ونجدةً على أنه كان قليلاً هَيّناً ولعل أول شاعر قرشي وقف يزحم الشعراء بمنكب ضخم هو " عمر بن أبى ربيعة " .

مدرستى مكة والمدينة وطابع شعرهما : -

وهنا نسجل ظاهرتين :

الأولى : هذه الشاعرية القرشية التى مثلت مدرسة "مكة " مقابلة لمدرسة " المدينة " التى مثلها الأنصار.

الثانية : أن هذا الشعر الذى صاحب النهضة الإسلامية أول ظهوره لم يكن شعراً دينياً بالمعنى الصحيح وإنما هو شعر عربي يسجل العواطف التى كان الجاهليون يسجلونها ، ومع ذلك ففيه شيء جديد هو أن مصدر هذه الخصومة التى وقعت بين قريس والنبي (ﷺ) ليست هى الأشياء التى كانت مصدر الخصومات الجاهلية ، هى خصومة أساسها الدين لا العصبية ولا المراعى والمياه ولا الرياسة القبلية فمن الطبيعي أن يعتز المسلمون بدينهم وأن ينكر القرشيون عليهم ذلك ، وأن يقوم الشعر بتقييد ذلك .

كذلك نجد فى هذا الشعر ملاحظة طريفة هى أن هؤلاء الشعراء من أنصار النبي (ﷺ) الذين أشرنا إليهم كانوا معروفين بالشعر قبل الإسلام ولاسيما "حسان" هؤلاء الشعراء كانوا يهجون " قريشا "ويرددون عليهم صيحاتهم الشعرية .وكانوا يذهبون مذهبين متقابلين . كان " حسان بن ثابت " وكعب بن مالك " فى الغالب يهجوانهم على النحو الجاهلي ، فَيُدْمِيهم " حسان " فى أحسابهم وأنسابهم

ونجدتهم ، وكان هجاؤه لذلك أشد عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا هان شعره عليهم ، إذ كان صورةً جليةً برئوا منها بالإسلام فلا عليهم حين ذكر بعد فوات وقتها ، وكان " عبد الله بن رواحه " يعيرهم بترك الدين والهدى بالخروج على الإسلام فلم يبالوه أولاً ما داموا جاهليين كافرين حتى إذا أسلموا خافوا شعره لأنه عار عليهم يرميهم بالتقصير في عقيدتهم الرسمية الأخرى وكلا النوعين كان أقرب في أسلوبه الى النسق الجاهلي لم يحظ بنضج فني جديد .

كذلك يلاحظ أن شعر " قريش " لم يكن في الكثرة كما يروى أو يتوهم فيقول " ابن سلام " : " إنهم تكثروا من الشعر وأضافوه الى شعرائهم " .

كما يقول: " إنه شعر لَيّن يمكن تقليده ، ويصعب تمييزه "،لذلك تجد " ابن هشام " بعد رواية قصائد مطولة تُنْسب إليه يقول : " أكثر علماء الشعر ينكر هذه النسبة " .

إن الإسلام بحكم طبيعته ونهضته كما نهض بالشعر واستدعاه موضوعاً فإنه أضعف شعر بعض الشعراء شكلاً ، وحسان بن ثابت . نفسه دليل ذلك ، ومن المشهور بين المؤرخين أن " حسان " في الجاهلية أشعر منه في الإسلام :

قال الأصمعي : " الشعر نكد يقوى في الشر ويسهل ، فاذا دخل في الخير ضعف ولأن ، هذا " حسان " فَحْل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقطوا شعره " .

لماذا ضعف شعر " حسان " في الإسلام : -

قيل " لحسان " لأن شعرك إذ هَرِمَ في الإسلام يا أبا الحسام ، **فقال للقائل:**

" يا ابن أخي ، إن الإسلام يحجر عن الكذب ، أو يمنع من الكذب ، والحق إن غالب شعر حسان كان في الإسلام دون مستواه الجاهلي ولعل أسباب ذلك :

إضطراره إلى الارتجال كثيراً ليرد على خصوم الرسول (ﷺ) المهاجمين .

١- كبر سنه ، وضعف مواهبه الفنية ، لأن الحيوية المادية ذات أثر قوى في قوة الشعر وروعته .

٢- وقوف الدين بالفن عند حد الفضيلة والدعوة إليها ، حتى لقد يستحيل الشعر وعظاً وإرشاداً ، وذلك يبعد بالشعر عن طبيعته العاطفية الحرة .

٣- ثم ، وهذا أهم شيء أن " حسان " كان بين طبيعتين : جاهلية قديمة ناضجة ، وأخرى إسلامية حديثة ، والشعر ليس شيئاً يلقى فى النفس القاءً ، وانما ينبع منها بقوة الطبع ، وحصول الثقافة الخاصة .

فكان " حسان " يغالب نفسه ، ويحملها على محمل نفس فنى جديد ومعانٍ ، وموضوعات جديدة ، وأسلوب قديم لم يتغير ، فكان يسقط بين كرسيين أي بين الاتجاهين .

ومثله فى ذلك الشاعر " النابغة الجعدى " وإن كان مغلباً فى الهجاء ، وإنما ما لهذه النقطة فلاحظ أن الشاعر " لبيد بن ربيعة " قد ترك الشعر ، وانصرف عن العناية به فى الإسلام ، فهذا مثل فى تأثير القرآن فى الشعر تأثيراً عكسياً مع أنه جزئي .

٤- إن جماعة من شعراء الأعراب أسلموا مسايرة للناس ، طوعاً أو كرهاً مثل " الخطيئة " الذى أسلم لأن من حوله أسلموا ، وربما كان ضعيف العقيدة **فارتد بعد وفاة الرسول (ﷺ) وإليه ينسب هذا الشعر :**

أطعنا رسول الله ما كان بيننا ... فيالَ عبادِ الله ما لأبي بكر

أيورثنا بكراً إذا مات بعده ... وتلك لعَمْرُ الله قاصمةُ الظهر

فهلاّ رددتم وفْدَنا بزمانه ... وهلا خشيتم حَسّ راعية البَكر

وكان " الحطيئة " يعشق الحياة الجاهلية ويحبها حباً جماً ، لما فيها من حرية غير خاضعة لسلطان سياسي،ولا لتقاليد دينية ، وكان يحب ما فى الجاهلية من صلات،وهبات،وشراب رافعاً عقيرته بالشعر،مادحاً أو هاجياً أو متغتذلاً .

هذا الشاعر قد بقى شعره جاهلياً كما هو دون أن يتأثر بالإسلام فى جملته ولم يتورط فيما تورط فيه غيره من الشعراء من الناحية الفنية حتى عد "الحُطَيئة " زعيم المخضرمين ، وقائدهم لدى بعض النقاد .

فالواقع أن " الحُطَيئة " كان مخلصاً لفنه أكثر من إخلاصه لدينه ، لذلك بقي شعره مستوياً لا تفاوت فيه ، شأنه فى ذلك شان الشاعر " القطامي " من الاسلاميين،و الشاعر " طرفة بن العبد البكري "،و " زهير بن أبى سلمى المزنى " من الجاهليين .

والنتيجة الطبيعية كما سبق أن مدة الجيل الأول لظهور الإسلام كانت من الناحية الأدبية امتداداً للعصر الجاهلي ، وبخاصة فى الشعر. ونحن حين نقف لديها ، لا نقف عند عصر جديد واضح المعالم والأركان ، لذلك اختلف مؤرخوا الأدب أين يضعون هذه الحقبة من تاريخه : أهى إمتداد للعصر الجاهلى وتكملةً له أم هى فترةً اسلامية جديدة أم هى حقبة بين الإثنين وهى عصر المخضرمين ؟

رأي ابن سلام الجمحى فى الحقبة الإسلامية : -

إن ابن سلام الجمحي ، فى كتابه " طبقات الشعراء " فقد أضاف هذه الحقبة من الزمن الى العصر الجاهلي،وأدخل شعراءها من طبقاته خاضعاً فى ذلك لنشأتهم الأصلية ، ومذاهبهم الفنية،وعد الاسلاميين الذين نشأوا فى الإسلام وتأدبوا بآدابه ، أو تثقفوا بثقافاته،وأدبه الكريم من القرآن الكريم والسنة وأتصلوا بأحداثه التاريخية والسياسية،فبدأهم بالشعراء " جرير والفرزدق ، والأخطل " من الذين تعدهم الآن من شعراء العصر الأموي .

رأي ابن رشيق القيرواني :

أما ابن رشيق القيرواني فى كتابه " العمدة فى محاسن الشعر ونقده " فقد عد هؤلاء الشعراء طبقة خاصة سماها " طبقة المخضرمين " والمخضرم هو الذى عاش شطراً من حياته فى الجاهلية ، وشطراً آخر فى الإسلام .

ثم توسع فى معنى الكلمة فأصبحت تطلق على كل من حضر عهدين متباينين ومختلفين **حيث يقول** : " طبقات القراء أربع " .

" جاهلي قديم،و مخضرم،واسلامي،ومحدث " ثم صار المُحَدْثون طبقت "طبقة أولى ، وطبقة ثانية " على التدريج ، و هكذا فى الهبوط الى وقتنا هذا ، وهو

تقسيم تغلب عليه الناحية الزمنية ، وإن لم يخل مطلقاً من ملاحظات فنية تلائم هذه العصور التاريخية وكون أن هذه الحقبة الزمنية من حقب التاريخ الأدبي " عصراً إسلامياً " خالصا من الناحية الأدبية فإنه غير ميسور الا أن يلاحظ فى ذلك النواحى الأخرى " السياسية ، أو أن تُعَد هذه مقدمة للعصر الاسلامى الذى تبدأ مظاهره فى منتصف القرن الأول الهجرى يعنى بدأت مظاهره الحقة مع ظهور الدولة الأموية ، والآن فإن العصر الاسلامي يبدأ بعد مضى جيل مُنْذُ البعثة ، أو بظهور الجيل الجديد الذى تربي فى ظل الإسلام وتأدب بآدابه وعلى هذا فمن الممكن تقسيم الشعراء الذين ظهر الإسلام **وهم شعراء إلى ثلاث طوائف** ، -

طائفتان متلاحقتان،ومتدافعتان،وهما طائفة الأنصار المدافعة عن الرسول(ﷺ) والمناصرة لدينه،و طائفة المكيين : الهاجيةً لرسول الله (ﷺ) والمهجية لدعوته وكان من آثارهما كثرة الشعر فى مكة والمدينة .

أما الطائفة الثالثة : فهى التى بقيت تقول الشعر فى إسلامها كما كانت تقوله فى جاهليتها ومن هؤلاء الشعراء " أبو دعبل الجمحى،وكعب بن زهير والنابغة الجعدي، ومعن بن أوس، وابن مقرم الضبي،وعبدة بن الطيب و عمرو بن معد بن كرب، و متمم بن نويره، و العباس بن مرداس،و الحطيئة "و غيرهم كثير مما يطلق عليهم الشعراء " المخضرمون " يعنى الذين أدركوا الجاهلية والاسلام وذلك من قولهم " ماء خضر " وذلك إذا تناهى فى السعة الى الكثرة ، لتناولهم العصرين . وأصل الخضرمة هم قوم وفدوا على رسول الله (ﷺ) وقد قاموا بتقطيع آذان إبلهم فلما وصلوا الى مجلس رسول الله (ﷺ) قال هؤلاء المخضرمون، يعنى أن قطع آذان إبلهم يحمل معنى سامياً عظيماً ، وهو أن هؤلاء قطعوا كل صلة لهم بالكفر والجاهلية واعتنقوا الإسلام ديناً فآمنوا بالله،وصدقوا برسول الله(ﷺ)،وهذه هى الفئة الثالثة : وهى لم تبتعد كثيراً فى شعرها الإسلامي عن المنحى والطريق الذى كانت تنتهجه وتنحوه فى شعرها الجاهلي بخلاف الفئتين السابقتين حيث إن البَوْنَ شاسع والفارق بعيد بين شعريهما " فى الجاهلية والاسلام " وذلك لتباين

الغرض اختلافه فى العَهدينَ ، ولاختلاف المعاني أيضا التى كان يقتضيها هذا التباين ، وإليك بعض الأمثلة لتوضيح ما ذكرناه آنفاً .

يقول الشاعر " ضرار بن الخطاب " في " واقعة بدر الكبرى " : -

عَجِبْت لِفَخْرِ الأَوْسِ وَالْحَيْـــنُ دَائِـــرٌ ... عَلَيْهِمْ غَـداً وَالـدّهْرُ فِيـه بَـصَائِرُ
وَفَخْرِ بَنِي النّجّارِ وَإِنْ كَـانَ مَعْـشَرٌ ... أُصِـيبُوا بِبَـدْرٍ كُلّهِـمْ ثَـمّ صَـابِرُ
فَإِنْ تَكَ قَتْلَى غُـودِرَتْ مِـنْ رِجَالِنَـا ... فَإِنّـا رِجَـالٌ بَعْـدَهُمْ سَـنُغَادِرُ
وَتَرْدِي بِنَا الْجُرْدُ الْعَنَـاجِيجُ وَسْـطَكُمْ ... بَنِي الأَوْسِ حَتّى يَشْفَى النّفْسَ ثَـائِرُ
وَوَسْطَ بَنِي النّجّارِ سَـوْفَ نَكُرّهَـا ... لَهَـا بِالْقَنَـا وَالـدّارِعِينَ زَوَافِـرُ
فَنَتْرُكَ صَرْعَى تَعْصِبُ الطّيْرُ حَـوْلَهُمْ ... وَلَـيْسَ لَهُـمْ إلا الأَمَـانِيّ نَاصِـرُ
وَتَبْكِيهِـمْ مِـنْ أَهْـلِ يَثْـرِبَ نِـسْوَةٌ ... لَهُنّ بِهَا لَيْـلٌ عَلَـى النّـوْمِ سَـاهِرُ
وَذَلِـك أَنّـا لا تَـزَالُ سُـيُوفُنَا ... بِهِـنّ دَمٌ مِمّـنْ يُحَـارِبْنَ مَـائِرُ
فَإِنْ تَظْفَرُوا فِي يَـوْمِ بَـدْرٍ فَإِنّمَـا ... بِأَحْمَدَ أَمْسَى جَـدّكُمْ وَهُـوَ ظَـاهِرُ
وَبِـالنّفْرِ الْأُخْيَـارِ هُـمْ أَوْلِيَـاؤُهُ ... يُحَامُونَ فِي اللأْوَاءِ وَالْمَوْتُ حَاضِـرُ
يُعَـدّ أَبُـو بَكْـرٍ وَحَمْـزَةُ فِـيهِمُ ... وَيُدْعَى عَلِيّ وَسْطَ مَنْ أَنْـتَ ذَاكِـرُ
وَيُدْعَى أَبُو حَفْـصٍ وَعُثْمَـانُ مِـنْهُمْ ... وَسَعْدٌ إِذَا مَا كَانَ فِي الْحَرْبِ حَاضِرُ
أُولَئِك لَا مَـنْ نَتّجَـبُ فِـي دِيَارِهَـا ... بَنُو الْأَوْسِ وَالنّجّـارِ حِـينَ تُفَـاخِرُ
وَلَكِنْ أَبُوهُمْ مِـنْ لُـؤَيّ بْـنِ غَالِـبٍ ... إِذَا عُدّتْ الْأَنْـسَابُ كَعْـبٌ وَعَـامِرُ
هُمْ الطّاعِنُونَ الْخَيْلَ فِي كُـلّ مَعْـرَكٍ ... غَـدَاةَ الْهَيَـاجِ الْـأَطْيَبُونَ الْأَكَـاثِرُ

فَأَجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، أَخُو بَنِي سَلِمَةَ فَقَالَ :

عَجِبْـت لأَمْـرِ اللّـهِ وَاللّـهُ قَـادِرٌ ... عَلَى مَـا أَرَادَ لَـيْسَ لِلّـهِ قَـاهِرُ
قَضَى يَوْمَ بَـدْرٍ أَنْ نُلاقِـيَ مَعْـشَراً ... بَغَوْا وَسَبِيلُ الْبَغْيِ بِالنّـاسِ جَـائِرُ
وَقَدْ حَشَدُوا وَاسْـتَنْفَرُوا مَـنْ يَلِـيهِمْ ... مِنْ النّاسِ حَتّـى جَمْعُهُـمْ مُتَكَـاثِرُ
وَسَـارَتْ إِلَيْنَـا لا نُحَـاوِلُ غَيْرَنَـا ... بِأَجْمَعِهَا كَعْـبٌ جَمِيعـاً وَعَـامِرُ
وَفِينَـا رَسُـولُ اللّـهِ وَالأَوْسُ حَوْلَـهُ ... لَهُ مَعْقِـلٌ مِـنْهُمْ عَزِيـزٌ وَنَاصِـرُ

وَجَمْعُ بَنِي النّجّارِ تَحْتَ لِوَائِهِ ... يُمَشّونَ فِي الْمَاذِي وَالنّقْعُ ثَائِرُ
فَلَمّا لَقِينَاهُمْ وَكُلّ مُجَاهِدٌ ... لأَصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلُ النّفْسِ صَابِرُ
شَهِدْنَا بِأَنّ اللّهَ لا رَبّ غَيْرَهُ ... وَأَنّ رَسُولَ اللّهِ بِالْحَقّ ظَاهِرُ
وَقَدْ عُرّيَتْ بِيضٌ خِفَافٌ كَأَنّهَا ... مَقَابِيسُ يُزْهِيهَا لِعَيْنَيْكَ شَاهِرُ
بِهِنّ أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ فَتَبَدّدُوا ... وَكَانَ يُلَاقِي الْحَيْنَ مَنْ هُوَ فَاجِرُ
فَكُبّ أَوْ جَهِلَ صَرِيعاً لِوَجْهِهِ ... وَعُتْبَةُ قَدْ غَادَرْنَهُ وَهُوَ عَائِرُ
وَشَيْبَةُ وَالتّيْمِيّ غَادَرْنَ فِي الْوَغَى ... مَا مِنْهُمْ إلا بِذِي الْعَرْشِ كَافِرُ
فَأَمْسَوْا وَقُودَ النّارِ فِي مُسْتَقَرّهَا ... وَكُلّ كَفُورٍ فِي جَهَنّمَ صَائِرُ
تَلَظّى عَلَيْهِمْ وَهِيَ قَدْ شَبّ حَمْيُهَا ... بِزُبُرِ الْحَدِيدِ وَالْحِجَارَةِ سَاجِرُ
وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا ... فَوَلّوْا وَقَالُوا : إنّمَا أَنْتَ سَاحِرُ
لأَمْرٍ أَرَادَ اللّهُ أَنْ يَهْلِكُوا بِهِ ... وَلَيْسَ لأَمْرِ حَمّهُ اللّهُ زَاجِرُ

وَقَالَ " عَبْدُ اللّهِ بْنُ الزّبَعْرَى " يَبْكِي قَتْلَى بَدْرٍ :

مَاذَا عَلَى بَدْرٍ وَمَاذَا حَوْلَهُ ... مِنْ فِتْيَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ كِرَامِ
تَرَكُوا نُبَيْهاً خَلْفَهُمْ وَمُنَبّهاً ... وَابْنَيْ رَبِيعَةَ خَيْرِ خَصْمٍ فِئَامِ
وَالْحَارِثَ الْفَيّاضَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ ... كَالْبَدْرِ جَلّى لَيْلَةَ الْإِظْلَامِ
وَالْعَاصِيَ بْنَ مُنَبّهٍ ذَا مِرّةٍ ... رُمْحاً تَمِيماً غَيْرَ ذِي أَوْصَامِ
تَتْمِي بِهِ أَعْرَاقُهُ وَجُدُودُهُ ... وَمَآثِرُ الْأَخْوَالِ وَالْأَعْمَامِ
وَإِذَا بَكَى بَاكٍ فَأَعْوَلَ شَجْوَهُ ... فَعَلَى الرّئِيسِ الْمَاجِدِ ابْنِ هِشَامِ
حَيّا الإِلَهُ أَبَا الْوَلِيدِ وَرَهْطَهُ ... رَبّ الأَنَامِ وَخَصّهُمْ بِسَلَامِ

فَأَجَابَهُ حَسّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيّ ، فَقَالَ :

ابْكِ بَكَتْ عَيْنَاكَ ثُمّ تَبَادَرَتْ ... بِدَمٍ تُعَلّ غُرُوبُهَا سَجّامِ
مَاذَا بَكَيْتَ بِهِ الّذِينَ تَتَابَعُوا ... هَلّا ذَكَرْتَ مَكَارِمَ الْأَقْوَامِ
وَذَكَرْتَ مِنّا مَاجِداً ذَا هِمّةٍ ... سَمْحَ الْخَلَائِقِ صَادِقَ الْإِقْدَامِ
أَعْنِي النّبِيّ أَخَا الْمَكَارِمِ وَالنّدَى ... وَأَبَرّ مَنْ يُولِي عَلَى الْإِقْسَامِ
فَلِمِثْلِهِ وَلِمِثْلِ مَا يَدْعُو لَهُ ... كَانَ الْمُمَدّحَ ثُمّ غَيْرَ كَهَامِ

وَقَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَبْكِي حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ :

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقّ لَهَا بُكَاهَا ... وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلا الْعَوِيلُ
عَلَى أَسَدِ الإِلَهِ غَدَاةَ قَالُوا ... أَحَمْزَةَ ذَاكُمْ الرّجُلُ الْقَتِيلُ
أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعاً ... هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرّسُولُ
أَبَا يَعْلَى لَكَ الأَرْكَانُ هُدّتْ ... وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرّ الْوَصُولُ
عَلَيْكَ سَلامُ رَبّكَ فِي جِنَانٍ ... مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لا يَزُولُ
أَلا يَا هَاشِمَ الأَخْيَارِ صَبْراً ... فَكُلّ فِعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ
رَسُولُ اللّهِ مُصْطَبِرٌ كَرِيمٌ ... بِأَمْرِ اللّهِ يَنْطِقُ إِذْ يَقُولُ
أَلا مَنْ مُبْلِغٌ عَنّي لُؤَيّا ... فَبَعْدَ الْيَوْمِ دَائِلَةٌ تَطُولُ
وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا ... وَقَائِعَنَا بِهَا يُشْفَى الْغَلِيلُ
نَسِيتُمْ ضَرْبَنَا بِقَلِيبِ بَدْرٍ ... غَدَاةَ أَتَاكُمْ الْمَوْتُ الْعَجِيلُ
غَدَاةَ ثَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيعاً ... عَلَيْهِ الطّيْرُ حَائِمَةٌ تَجُولُ
وَعُتْبَةُ وَابْنُهُ خَرّا جَمِيعاً ... وَشَيْبَةُ عَضّهُ السّيْفُ الصّقِيلُ
وَمَتْرَكُنَا أُمَيّةَ مُجْلَعِبّاً ... وَفِي حَيْزُومِهِ لَدْنٌ نَبِيلُ
وَهَامَ بَنِي رَبِيعَةَ سَائِلُوهَا ... فَفِي أَسْيَافِنَا مِنْهَا فُلُولُ
أَلا يَا هِنْدُ فَابْكِي لا تَمَلّي ... فَأَنْتِ الْوَالِهُ الْعَبْرَى الْهَبُولُ
أَلا يَا هِنْدُ لا تُبْدِي شِمَاتاً ... بِحَمْزَةَ إِنْ عَزّكُمْ ذَلِيلُ

قال " أبو دعبل الجمحى " يمدح الرسول (ﷺ) : -

إنَّ البيوت معادنٌ فنجارُهُ ... ذهبٌ وكلُّ بيوته ضَخْمُ
عُقِمَ النِّساءُ فما يلدنَ شبيهَهُ ... إنَّ النِّساء بمثله عُقْمُ
مُتهلّل بنَعَمْ بلا متباعدٌ ... سيَّان منهُ الوفرُ والعُدْمُ
نَزْرُ الكلامِ من الحياءِ تخالُه ... ضِمْناً وليسَ بجسمهِ سقْمُ

وقال " كعب بن زهير " : -

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ ... مُتَيّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ... إِلّا أَغَنّ غَضِيضُ الطّرْفِ مَكْحُولُ
هَيْفَاءُ مُقْبِلَةٌ عَجْزَاءُ مُدْبِرَةٌ ... لا يُشْتَكَى قِصَرٌ مِنْهَا وَلا طُولُ
تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ ... كَأَنّهُ مَنْهَلٌ بِالرّوْحِ مَعْلُولُ
شُجّتْ بِذِي شَيَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ... صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ

الى أن قال :

تسعى الوشاةُ بجنبَيْها وقولُهُم ... إنك يا بنَ أبي سلمَى لمقتولُ
وقالَ كلُّ خليلٍ كنتُ آملهُ ... لا ألهينك إني عنك مشغولُ
فقلتُ خَلُّوا سبيلي لا أبَا لكمُ ... فكلُّ ما قدَّر الرحمنُ مفعولُ
كلُّ ابنِ أنثَى وإنْ طالتْ سلامتهُ ... يوماً على آلةِ حدباءَ محمولُ
أنبئتُ أن رسولَ الله أوعدني ... والعفوُ عندَ رسولِ الله مأمولُ
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلةَ ال ... قرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ
لا تأخذنّي بأقوالِ الوشاةِ ولمْ ... أذنبْ وإن كثرتْ في الأقاويلُ
لقدْ أقومُ بأمرٍ لوْ يقومُ بهِ ... أرَى وأسمَعُ ما لو يسمعُ الفيلُ
لظلَّ يرعدُ إلا أن يكون لهُ ... منَ الرسولِ بإذنِ الله تنويلُ
حتى وضعتُ يميني لا أنازعُهُ ... في كفِّ ذي نقماتٍ قيلُهُ قليلُ
لذاك أهيبُ عندي إذْ أكلمهُ ... وقيلَ إنك منسوبٌ ومسؤولُ

إلى أن قال :

إنَّ الرسولَ لسيفٌ يستضاءُ بهِ ... مهندٌ من سيوفِ الله مسلولُ
في عصبةٍ من قريشٍ قالَ قائلهمْ ... ببطنِ مكةَ لمَّا أسلمُوا زولُوا
زالوا فما زالَ أنكاسٌ ولا كشفٌ ... عندَ اللقاءِ ولا ميلٌ معازيلُ
شمُّ العرانينِ أبطالٌ لبوسهمُ ... من نسجِ داوودَ في الهَيجا سرابيلُ
بيضٌ سوابغُ قد شكتْ لها حلقٌ ... كأنهُ خلقُ الفقعاء مجدولُ
يمشونَ مشيَ الجمالِ الزهرِ يعصمهم ... ضربٌ إذا عردَ السودُ التنابيلُ
لا يفرحونَ إذا نالتْ رماحهمُ ... قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلُوا

لا يقعُ الطعنُ إلاَّ فـي نحورهـــمِ وما لهمْ عنْ حياضِ الموتِ تهليـلُ

وقال " النابغة الجعدي " من قصيدة يمدح فيها الرسول (ﷺ) :

خليليّ عُوجا ساعَـــةً، وتَهَجَّـــرا ولُوما على ما أَحْدثَ الدهرُ، أَوْ ذَرَا
ولا تَجْزَعا إنّ الحيـــاةَ دَميمـــةٌ، فَخفّا لِرَوْعاتِ الحوادث، أو قـــرا
وإنْ جاءَ أَمْرٌ لا تُطيقانـــن دَفْعَـــهُ، فَلاَ تَجْزَعا ممّا قضىَ اللَّهُ، وَاصْبِرا
أَلمْ تَرَيا أَنّ المَلامَـــةَ نَفْعُهـــا قَليلٌ، إذا ما الشـــيْءُ ولّى وَأَدْبَـرا
تَهـــيجُ البُكَـــاءَ والنّدَامَـــةَ ثُـــمّ لا تُغيّر شَيئاً، غَيْرَ مـــا كان قُـــدّرا
أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّـــه، إذ جـــاءَ بالهُـدى، وَيَتْلو كتاباً كالمجـــرّة نيّـــرا
خَليليّ قـــد لاقَيْـــتُ مـــا لـــمْ تُلاقِيـــا، وَسيّرتُ في الأحياءِ ما لـــم تُـــسيِّرا
تذكرْتُ، والذكرى تَهيجُ لـــذي الهَـــوَى ومن حاجةِ المَحْـــزونِ أن يتـــذكّرا
داماي عِنْـــدَ المُنْـــذرِ بْـــن مُحـــرِّقٍ، أرى اليَوْمَ مِنْهُم ظاهر الأرض مقفـــرا
كُهُـــولاً وشُـــبّاناً، كـــأَنّ وجـــوهَهُم دَنانيرُ ممّا شِيفَ في أرضِ قَيْـــصَرَا
وما زِلْتُ أَسْـــعى بَـــيْنَ بـــاب وداره، بِنَجْرَانَ، حتى خِفْـــتُ أن أَتَنَـــصّرا
لـــدى مَلِـــكٍ مِـــنْ آل جَفْنَـــةَ، خَالُـــه وَجَدّاهُ منْ آل امرِيء القيسِ أزهرَا
يُـــدِيرُ عَلَيْنَـــا كأسَـــهُ وشِـــواءَهُ مَناصفُهُ والحَـــضْـــرَميَّ المُحَبَّـــر

إلى ان قال :

بَلَغْنَا السّما مَجْـداً وَجُـوداً وَسُـودَداً، وإنّا لَنَرْجو، فَـوْقَ ذَلِـك، مَظهـرا
وكـــلُّ مَعَـــدّ قَـــد أَحَلّـــتْ سُـــيُوفَنَا جَوَانِبَ بَحْرٍ،ذي غَوَارِبَ، أَخْـضَرَا
لَعَمْـــري لَقَـــدْ أَنْـــذَرْتُ أَزْداً أُناتَهـــا، لَتَنْظُـــرَ فـــي أَحْلامهـــا وَتُفَكِّـــرا
وأعرَضْتُ عَنْهـــا حِقبـــةً، وَتَرَكْتُهـــا، لأبْلِغَ عُذْراً عِنْـــدَ رَبِـــيّ، فأُعـــذرا
وما قُلْتُ حتّى نـــالَ شَـــتْمٌ عَـــشيرَتي نُفَيْلَ بن عَمْرو والوَحيـــدَ وَجَعْفَـــرا
وَحَيّ أبـــي بَكْـــرٍ، وَلاَ حَـــيَّ مِـــثْلُهم، إذا بَلَغَ الأمْـــرُ العَمَـــاسَ المُـــدَمِّرا

فقال النبي (ﷺ) : فأين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال : الجنة . قال النبي (ﷺ): إن شاء الله .

ومن احكم شعر " معن بن أوس " وأعفه قوله : -

لَعَمْرُكَ ما أَهْوَيْتُ كَفِّي لريبَةٍ ... ولا حَمَلَتْني نَحْوَ فاحِشَةٍ رِجْلي
وأَعْلَمُ أَنِّي لم تُصِبْنِي مُصيبَةٌ ... من الدَّهْرِ إلاّ قد أَصابَتْ فَتىً قَبْلي
ولا قادَني سَمْعِي ولا بَصَرِي لَها ... ولا دَلَّني رَأْيٌ عَلَيْها ولا عَقْلي
ولا مُؤْثِراً نَفْسِي على ذِي قَرابَةٍ ... وأُثْرُ ضَيْفِي، ما أَقامَ، على أَهْلي

وقال " عبدة بن الطيب " يرثى " قيس بن عاصم المنقرى " .

عليكَ سلامُ اللهِ قَيْسَ بن عاصِمٍ ... ورَحْمَتُهُ ما شاءَ أنْ يَتَرَحَّما
تَحِيَّةَ مَنْ غادَرْتَهُ غَرَضَ الرَّدَى ... إذا زارَ عن شَحْطٍ بِلادَكَ سَلَّما
فما كان قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحِدٍ ... ولكنَّه بُنْيانُ قَوْمٍ تَهَدَّما

وقال " متمم بن نويرة " فى رثاء أخية " مالك " وهى طويلة :

جميلُ المُحيَّا ضاحكٌ عند ضيفِهِ ... أغرُّ جميعُ الرَّأيِ مشتملُ الرَّحلِ
وقورٌ إذا القومُ الكرامُ تقاولُوا ... فحُلّت حباهُمْ واستُطيروا من الجهلِ
وكُنتَ إلى نفسي أشدَّ حلاوةً ... من الماءِ بالماذيّ من عسلِ النَّحلِ
وكلُّ فتىً في النَّاسِ بعد ابن أُمِّهِ ... كساقطةِ إحدى يديهِ من الخَبلِ
وبعضُ الرِّجالِ نخلةٌ لا جَنى لها ... ولا ظلَّ إلاَّ أن تُعدَّ من النَّخلِ

وقال " العباس بن مرداس " :

تَرَى الرَّجُلَ النَّحيفَ فتَزْدَرِيهِ ... وفي أَثْوابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ
ويُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فتَبْتَلِيهِ ... فيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ
فما عِظَمُ الرِّجالِ لَهُمْ بفَخْرٍ ... ولكنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وخِيرُ
بُغاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُها فِراخاً ... وأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاتٌ نَزُورُ
ضِعافُ الطَّيْرِ أَطْوَلُها جُسُوماً ... ولَمْ تَطُلِ البُزاةُ ولا الصُّقُورُ
لَقَدْ عَظُمَ البَعِيرُ بغَيْرِ لُبٍّ ... فَلَمْ يَسْتَغْنِ بالعِظَمِ البَعِيرُ
يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ بكُلِّ وَجْهٍ ... ويَحْبِسُهُ على الخَسْفِ الجَرِيرُ

وتَـــضْرِبُهُ الوَلِيـــدَةُ بـــالهَراوَي ... فـــلا غيَـــرٌ لَدَيْـــه ولا نَكِيـــرُ
فـــإنْ أَكَ فـــي شِـــرارِكُمُ قَلِـــيلاً ... فـــإنِّي فـــي خِيـــارِكُمُ كَثِيـــرُ

وقال " الحطيئة " فى آل شماس ، قوم بغيض :

أَلاَ طَرَقَتْنَـــا بعـــدَ مـــا هَجَعُـــوا هِنْـــدُ ... وقد جُزْنَ غَوْراً واستَبَانَ لنـــا نَجْـــدُ
وإنّ التـــي نَكَّبْتُهـــا عـــن مَعَاشِـــرٍ ... عَلَيَّ غِضَابٍ أَنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا
أتـــتْ آلَ شَـــمَّاس بـــنِ لأْيَ وإنمـــا ... أتاهم بها الأحلامُ والحَـــسَبُ العِـــدُّ
فإنّ الشقيَّ مـــن تُعـــادِي صـــدورُهم ... وذو الجَدِّ مَن لاَنُوا إليه ومَـــن وَدُّوا
يُـــسوسون أحلامـــاً بعيـــداً أناتُهـــا ... فإن غَضِبُوا جاءَ الحَفِيظَـــةُ والجِـــدُّ
أَقِلُّـــوا علـــيهم لا أبـــا لأبِـــيكُمُ ... من اللوم أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا
أولئك قومٌ إن بَنَـــوا أحـــسنوا البُنَـــي ... وإن عاهدُوا أَوْفَوْا وإن عَقَدُوا شَدُّوا
وإن كانت النُّعْمى عليهم جَـــزَوْا بهـــا ... وإن أنعمُوا لا كـــدَّروها ولا كَـــدُّوا
وإن قال مَوْلاَهُمْ علـــى جُـــلِّ حـــادثٍ ... من الدهر رُدُّوا فَضْلَ أحلامُكم ردُّوا
مَطَاعِينُ في الهَيْجا مَكَاشِـــيفُ للـــدُّجَى ... بَنَـــىَ لَـــم آبـــاؤُهم وبَنَـــى الجَـــدُّ

هذا،وقد تقدم أن ذَكَرْنا أن مسلك الرسول (ﷺ) وخلفائه من الشعر كان سليماً،وذكرنا تشجيعه لـ " حسان بن ثابت " ومكافأته " كعب بن زهير" ورغبته فى استماع الشعر مما كان له أثر فى نهضة الشعر.

فلقد حكى " ابن هشام " أن رسول الله (ﷺ) لما قال للأنصار: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسيافهم أن ينصروه بألسنتهم.

فقال حسان : أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال:والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" كيف تهجوهم وأنا منهم وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي " فقال : يا رسول الله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين فقال:" إئْـــتِ أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك ،

فيحدثك حيث القوم وأيامهم وأحسابهم ، ثم أهجهم وجبريل معك ، فأخذ " حسان " يهجوهم ، وكثيراً ما كان يقول له (ﷺ) : شن الغارة على بنى عبد مناف فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع الحسام فى غلس الظلام .

ولقد استمع رسول الله (ﷺ) " لكعب بن زهير " لاميته المشهورة (بانت سعاد) فعفا عنه وأثابه بردة اشترها منه " معاوية "بعد وفاته بثلاثين ألف درهم وتداولها من بعده الخلفاء يلبسونها فى الجمع والأعياد، بل لقد تأثر رسول الله (ﷺ) حينما أنشدته " قتيلة بنت الحارث " أخت النضر **وقد قتل بعد وقعة بدر** :

يَـا رَاكِبـاً إنّ الأُثَيْـلَ مَظِنّـةَ ... مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفّقُ

أَبْلِـغْ بِهَـا مَيْتَـاً بِـأَنّ تَحِيّـةَ ... مَا إنْ تَزَالُ بِهَـا النّجَائِبُ تَخْفُقُ

مِنّـي إلَيْـكَ وَعَبْـرَةً مَسْفُوحَـةً ... جَادَتْ بِوَاكِفِهَـا وَأُخْـرَى تَخْفُـقُ

هَـلْ يَسْمَعُنِي النّـضْرُ إنْ نَادَيْتُـه ... أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيّتٌ لَـا يَنْطِـقُ

أَمُحَمّـدٌ يَـا خَيْـرَ ضَـنْءٍ كَرِيمَـةٍ ... فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْـلُ فَحْـلٌ مُعَـرّقُ

مَا كَانَ ضَـرّكَ لَـوْ مَنَنْـتَ وَرُبّمَـا ... من الْفَتَى وَهُـوَ الْمَغِـيظُ الْمُحَنَـقُ

أَوْ كُنْـتَ قَابِـلَ فَدِيَـةٍ فَلْيُـنْفَقَنْ ... بِأَعَزّ مَـا يَغْلُـو بِـهِ مَـا يُنْفِـقُ

فَالنّضْرُ أَقْـرَبُ مَـنْ أَسَـرْتَ قَرَابَـةً ... وَأَحَقّهُـمْ إنْ كَـانَ عِتْـقٌ يُعْتَـقُ

ظَلّـتْ سُـيُوفُ بَنِـي أَبِيـهِ تَنُوشُـهُ ... لِلّـهِ أَرْحَـامٌ هُنَـاكَ تُـشَقّقُ

صَـبْراً يُقَـادُ إلَـى الْمَنِيّـةِ مُتْعَبـاً ... رَسْفَ الْمُقَيّدِ وَهُـوَ عَـانٍ مُوثَـقُ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فَيُقَالُ وَاَللّهُ أَعْلَمُ إنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ لَمّا بَلَغَهُ هَذَا الـشّعْرُ قَالَ لَوْ بَلَغَنِي هَذَا قَبْلَ قَتْلِهِ لَمَنَنْت عَلَيْهِ " .

ولقد سار خلفاؤ (ﷺ) من بعده إزاء الشعر كما سار وما منهم إلا من تمثل بالشعر أو قاله أو حض على روايته وحرض على حفظه ، وكانت السيدة "

عائشةﷺ " كثيرة الرواية للشعر حتى قيل أنها مالت حفظ شعر " لبيد " وكانت تقول :

" رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم،وكانوا يحضون على حفظ ما هو حسن مفيد ، ويعاقبون على ما هو شائن ضار. فضربوا على أيدى الشعراء الخارجين عن سياج العفة والدين بالهجو المقذع والتشبيب الفاحش ونعت الخمر ، وما إلى ذلك فهذا " عمر " حبس " الحطيئة " لإقذاعه فى هجاء " الزبرقان بن بدر " ولم يطلق سراحه على كثرة استعطافه،إلا قصيدة رق لها " عمر " **وهى** :

ماذا تَقُولُ لأَفْراخٍ بِذِي مَرَخٍ ... حُمْرِ الحَواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ

أَلْقَيْتَ كاسِيَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... فاغْفِرْ، عليك سَلامُ اللّهِ يا عُمَرُ

أَنْتَ الإمامُ الذي مِن بَعْدِ صاحِبِهِ ... أَلْقَتْ إليك مَقالِيدَ النُّهَى البَشَرُ

لَمْ يُؤْثِرُوك بها إِذْ قَدَّمُوك لَها ... لكنْ لأَنْفُسِهِمْ كانتْ بك الخِيَرُ

فامْنُنْ على صِبْيَةٍ بالرَّمْلِ مَسْكَنُهُمْ بَيْنَ ... الأَباطِحِ تَغْشاهُمْ بِها القِرَرُ

أَهْلِي فِداؤُك، كم بَيْنِي وبَيْنَهُمُ ... مِن عَرْضِ دَوِّيَّةٍ يَعْمَى بها الخَبَرُ

وهذا " عثمان " ﷺ حبس " ضابيء بن الحرث بن أرطاة، من بني غالب بن حنظلة، بن البراجم، وكان استعار كلباً من بعض بني جرول بن نهشل، فطال مكثه عنده، فطلبوه فامتنع عليهم، فعرضوا له فأخذوه منه، فغضب ورمى أحدهم بالكلب واسم الكلب قرحان **فقال**:

تَجَشَّمَ دُونِي وَفْدُ قُرْحانَ شُقَّةً ... تَظَلُّ بها الوَجْناءُ وهْيَ حَسِيرُ

فأَرْدَفْتُهُمْ كلْباً فراحُوا كأَنما ... حَبَاهُمْ بتاجِ الهُرْمُزَانِ أَمِيرُ

وقَلَّدْتُهُمْ ما لو رَمَيتُ مُتَالِعاً ... به وهو مُعْبَرٌّ لكادَ يَطِيرُ

فيا راكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ ... ثُمَامَةَ عَنِّي والأُمُورُ تَدُورُ

فأُمَّكُمُ لا تَتْرُكُوها وكَلْبَكُمْ ... فإِنَّ عُقُوقَ الوالِداتِ كبِيرُ

فإنَّك كَلْبٌ قـد ضَـريتَ بمـا تَـرَى سَمِيعٌ بمـا فَـوْقَ الفِـرَاشِ خَبِيـرُ
إذا عَشَّتَتْ مـن آخِـرِ اللَّيْـلِ دُخْنَـةً يَبِيتُ لهـا فَـوْقَ الفِـرَاشِ هَرِيـرُ

فاستعدوا عليه عثمان بن عفان، فحبسه، وقيل أنه مات فى السجن .

وهكذا نجد أن الخلفاء قد حرصوا على حفظ الشعر وروايته لا للتلهى به أو تأديب النفس فحسب ، بل لأنهم وجدوا أن تعلمه ضرورى لفهم القرآن ، فقد **قال " ابن عباس "** ﷺ ، " اذا قرأتم شيئاً فى كتاب اللّٰه فلم تعرفوه فاطلبوه فى أشعار العرب " .